تجليات الحس الإنساني في مجموعة (تأريخ الأسى) للشاعر طالب عبدالعزيز

م . م . هيثم كاظم صالح

الخلاصة :

تناولت في هذا البحث موضوعاً حساساً وهو (الحس الإنساني) ، وحاولت فيه أن أعالج هذا البعد من محورين الأول (المرأة) بوصفها كائنة مقموعة ومهمشة ، فارتأيت أن أسلط الضوء عليها وأجعلها البؤرة الأساسية في المبحث الأول ، جامعاً النصوص التي تؤيد كونها إنسانة خارج التهميش فهي (الأم الحنون ، والزوجة) .

أما المحور الثاني فكان عنوانه (فضح المدلول المأساوي للحرب) ، اثبت فيه أن الحرب نزعة البؤس والدمار ، وتسبب الخلل في المنظومة الأخلاقية والفكرية للمجتمعات البشرية ، وأثبت ذلك من خلال نصوص الشاعر طالب عبد العزيز الذي أستطاع إيصال رسالةً للمتلقي يستفزه فيها استفزازاً إيجابياً بواسطة الحط من قيمة الحرب واصفاً إياها باللعبة .

هذا مادار حوله البحث فالمحوران يصبان في مصب الإنسانية .

In this research paper I have taken into manipulation a very sensitive/ critical subject which is (The human connotations). I attempted to tackle this topic from two main sides/parts; first is the (woman) for being a persecuted and marginalised. Thus I thought I could shed more light upon this issue, making it the focal point of the first part of the research, collecting all the relevant documents which support and prove that she should not be marginalised and persecuted, for being the wife and the passionate mother.

The second part of the research is entitled (War reflects an inhuman connotation), proving that war has a destructive and miserable tendency, and it causes a defect in the moral, ideological system of the society, supporting that through quoting poetic texts for the poet Talib Abdulaziz, who succeeded in conveying the message to the recipients, provoking them positively, through degrading war, describing it as a curse. Last not least both parts flow into the estuary of humanity

المقدمة :

تتجاذب المجتمعات البشرية نزعات ومدلولات عدة ، يسهم بعضها في بناء عقل المجتمع الجمعي ووعيه بناءً سليماً بعيدا عن الخلل ، ومن هذه النزعات والمدلولات (المدلول الإنساني) الذي يؤسس للبناء المفاهيمي لدى أفراد المجتمع .

في حين تسهم مدلولات أخرى في تحطيم الجهاز المفاهيمي والعقل الجمعي للأمة ، ومن ثم تؤسس هذه المدلولات لهدم المفاهيم البشرية لدى أفراد المجتمع ومنها مدلول (تهميش المرأة) و(الحرب) بوصفها مدلولا مأساويا".

أما موضوع الدراسة فسأتناول فيه مبحثين المبحث الأول :-

المرأة خارج التهميش ، ومحاولة وضع النقاط على هذا المدلول.

أما في المبحث الثاني فسأتناول (الحرب) وكيف استطاع الشاعر أن يفضح مأساتها من خلال نصوصه مؤسسا" لخطاب إنساني.

مدخـل :

تتحكم في طبيعة الإنسان نزعات وميول عدة ، وقد أخذت هذه النزعات والميول أبعادها في تشكيل تلك الطبيعة ، فكونت تركيبة الفرد البشري ، ومن ثم فان هنالك مرتكزات عدة تنوعت ، وتفرعت ارتكزت عليها طبيعة الفرد منها (المرتكزات الخلقية ، والوراثية ، والاجتماعية ، والسياسية...). وقد اختلف في ميول الفرد وسبل تكونها ، وهل إنها تمت إلى العدل والمساواة ، أو تمت الى العنف والعدوان ؟ ونشأت في اثر ذلك نظريات مختلفة أيد بعضها الرأي الأول ، في حين ساندت بعضها الرأي الثاني ، وقالت آراء أخرى برأي تبنى مفهوما" يرى بأن الإنسان خليط من هاتين النظريتين . ويبقى منطق الصراع هو المنطق القائم بين تلك النزعات والميول ، وكلما ساد المنطق الإنساني خفت وتلاشى المنطق اللاإنساني في نزعات الفرد ، ومن ثم يحل التواصل محل التوتر بين روابط المجتمع الإنساني .

فإذا سادت النزعات اللاإنسانية وتحكمت اللغة العدائية فان التوتر سيحل محل التواصل الإنساني [١] ، نتيجة لطغيان الصوت اللا إنساني على الصوت الإنساني. وقد تتداخل النزعات فيما بينها مبلورة مفهوماً خاصاً تختلط فيه تلك النزعات ، وتسود نزعة محل أخرى ، فمثلا قد تتحكم النزعة اللا إنسانية محل النزعة الإنسانية فتؤسس لها مفهومات قائمة بحد ذاتها ، ويختفي المدلول اللاانساني خلف وجوه النزعة الإنسانية فنحصل على أبشع الوجوه اللا إنسانية المتخفية وراء النزعة الإنسانية [٢]. وهذا ممكن الحصول في حياة المجتمعات نتيجة للتخاتل الحاصل في سلوكيات الأفراد الجمعية . ولو سلطنا الضوء على الفن وكيفية معالجته لهذه النزعات لوجدناه من المجالات المهمة التي توقفت عند ميول الأفراد ونزعاتهم فتوقف عند المدلولات الإنسانية ، وعند المدلولات اللاإنسانية

الأخرى. وبوصف الفن إبداعا " لشيء جديد ، وتكرارا فهو إذن يحاول أن يعالج موضوعات الحياة الكبرى ، يصنع الحياة ولا يقلدها ، يبتكرها ويؤثر فيها [٣].

أما اللغة فهي أداته المهمة التي يتكئ عليها ، بوصفها إحدى أهم م جساته التواصلية مع المتلقي ، واللغة بمفهومها العام ليست مجرد أصوات ، أو نظام لتوليد الأصوات ، بل هي اعم من ذلك هي مرآة العقل ، ووعاء الفكر ، كما أنها واسطة لنقل الانفعالات البشرية ، فهي القاعدة الأم التي يرتكز عليها الاجتماع الإنساني [٤]. إن اللغة حلقة التواصل بين الكائنات ، وهي البؤرة التي يرتكز عليها التحاور الاجتماعي والتبادل الفكري الإنساني .

أما الأدب احد محاور الفن فقد توقف عند معالجة تلك النزعات والميول البشرية ، فوقف عند النزعات التواصلية الإنسانية ، وقد توقف بعض الأدباء عند النزعات اللا إنسانية غير التواصلية ، فوجدوا سنن العنف والدمار ، ولسنا بصدد التوقف عند النزعات اللا إنسانية ، بل نحن بصدد الوقوف عند مدلول الحياة الكبير وهو (الحس الإنساني). فقد اشتمل الأدب العربي بوصفه احد الآداب العالمية ، الذي ترك للإنسانية تراثاً غضاً وطرياً سادت فيه مفهومات س اعدت البشرية على تخطي محنها ، وسادت فيه مفهومات أسهمت في إرساء مفهومات التضاد الاجتماعي ، وكونه مخطوطاً بشرياً فهو إذن تتسيّد فيه مفهومات متضادة ومتنافرة حد المفارقة . فنأخذ مثالاً التناقض فقد سادت فيه مفهومات (الرثاء ، والحب ووصف الطبيعة ، وألفاظ الحياة). وساد فيه (الهجاء ، والمدح ، ووصف الحروب وتمجيدها ، وألفاظ الموت) وكذلك سادت فيه مفهومات أخرى كمفهومي (النسق الشعري ، وفكرة الفحل) اللذين حددهما النقد الثقافي على أنهما أساسان أسهما في ترسيخ الثقافة اللا إنسانية [٥] ، وذلك غير مجانب للصواب ففيهما تهميشا " للقيم الإنسانية ، فالنسق تخاتل ومراوغة ، أما فكرة الفحولة فإلزام وإكراه للغير . ونحن بصدد التوقف عند مدلولات أخرى تمت للإنسانية بصلة تاركين المدلول اللاإنساني ، مسلطين الضوء على نصوص طالب عبد العزيز الشعرية بوصفه شاعراً وإنساناً ، مجدَ في نصوصه المدلول الإنساني .

المبحث الأول: المرأة خارج التهميش

المرأة ذلك الكيان الشفاف والعاطفي يعد إحد أهم مكونات الحياة التي وجدت في دنيا الحياة وتكونت فيها ، وأضفت عليها بعداً حياتياً مهماً ، وعلى الرغم من قيام الثنائيات وتضادها في حيز الوجود ، فان المرأة تظل حقيقة ماثلة تصا رع من اجل وجودها الحقيقي الفاعل والمنفعل في الحياة ، ومن ثم فالتشاكل قائم بين تلك الحقيقة ووهمية التسلط ، وخيالات الهيمنة الفحولية . فهي إذن ليست مجرد جسد ، هي كائن ينتظر منه فعل وإنتاج ، هي متن وليست هامش [٦] ، فلها وجودها وكينونتها واستقلاليتها ولا تمثل ضعفا أو ليناً أو نقصاً ، وان وضعت في خانة تلك الأوصاف فإنما وضعت

تجنياً ليس إلا ، وإلا ما معنى أن توصف حتى اللغة بالمؤنث أن مالت الى الضعف واللين ؟ كما ذهبت بعض مفهومات اللغة العربية [٧] ، وهي بعيدة عن كل ذلك . وما معنى وصفها – المرأة – بالقيمة الذهنية الم علقة في فضاء اللغة وفضاء التاريخ [٨] ، ما معنى كل ذلك ؟ ! ولا أرى في ذلك أي حق واحسبه تجنياً على كائن حاول الآخر المتسلط قمعه ، وسحقه . فالمرأة كائن شفاف بريء ، حتى أنها تكاد تتصل بما هو كوني ولا مرئي ، فهي تأتي لهذا العالم بهدف أن تكون هبة لغيرها تنفعل به ، وتتفاعل معه[٩] .

هي كائنٌ يمتلك روحا قبل كل شيء ، وهي اكبر من محدودية الجسم وماديته [١٠] . ولمشاعرها المرهفة والحساسة فإنها تضفي على الذوات التي تلتقي بها أملا أو يأساً [١١] لكونها إنسانة شفافة وعاطفية .

ومن الظلم أن توصف هذه الكائنة بمواصفات لا تليق بها ك ما فعلت ثقافتنا العربية في وصفهم لها في أشعارهم[١٢] ، مما يعني أنهم همشوها كما همش الإنسان الأسود في ثقافتنا وجعلوهما في خانة واحدة هي خانة المقموع والمنسي[١٣] ، وهما بريئان من ذلك كله .

ولعل الثقافة العربية غبنت حق المرأة يوم عدتها مجرد ولود تلد لها وتنتج [١٤] ، فهذا غبن لحقها بوصفها إنسانة لها رؤاها في الدنيا وأحاسيسها فهي ليست آلة تنتج فقط ، أنها مخلوقة عاطفية وإنسانة شفافة تستحق الحياة .

إن نزعتنا بوصفنا بشرا " تنحو بنا باتجاه احترام مخلوقات الحياة اجمع وعلى رأسها المرأة بوصفها إنسانة تشاركنا إنسانيتنا وبشريتنا ، كما تدعونا الإنسانية الى نزع ما تشكل في كينونتنا تجاه هذه الكائنة التي هي مقدسة كما هم الرجال اكتسبت وجودها وحقيقتها كما الرجل في هذه الحياة .

ونحن إذ نقف عند هذه النزعة فإننا سنتخذ من نصوص الشاعر والإنسان طالب عبدالعزيز محطة لنا في سيرنا هذا ، فنصوصه الشعرية بينت عمق وجود هذه الكائنة في الحياة . صورتها لنا بوصفها الأم والزوجة . فكانت صورة المرأة من بين المحاور الإنسانية التي انتشرت في نصوصه الشعرية ، وهذا ما سنبينه في متن البحث .

نأخذ نصوصا من شعره ونقف عند قوله عن الأم :

أمي ما زالت في فراشها .

أحدثها عن طولك وعضدك القوية

ويطربها كثيرا .

انهم لم يجدوا حذاء على مقاسك كانت تسألني .

على أي جنبيك كنت تنام .

أوحشني أن أقول لها

انك لم تنم منذ أعوام سبعة[١٥] .

هذا النص وان كان تسليط الضوء فيه على الرجل ، إلا أن المرأة الأم كانت حاضرة ، فهي الأم التي ما تفتأ تسال عن ولدها الذي اختطفته الحرب منها ، وهي على الفراش (فراش الكبر والمرض) إلا أنها دائمة السؤال عن ولدها . (أمي ما زالت في فراشها / أحدثها عن طولك وعضدك القوية / ويطربها كثيراً / أنهم لم يجدوا حذاء على مقاسك). إنها الأم الإنسانة الحنونة، التي تفيض دفئاً وحناناً ، وتزرع صبرها في صحراء الفراق ، ثم لا تحصد سوى الألم . (كانت تسألني/على أي جنبيك كنت تنام) . وهو نص يظهر جزءاً من حنان لا ينتهي وهو حنان الأم . أما المرأة الزوجة فيمكن أن نراها واضحة المعالم في أكثر من نص يقول عنها في قصيدته (على أريكة من شجن)[١٦].

ادن أكثر ليبتهج ثوبك بذكرى ثوبي

لأقول لك ما لم يقله الماء للماء

ما تتردد الريح في قوله

وتجهله المرايا

وما ليس في خلد النار

يبدأ العنوان بثيمة تبدو واضحة ، توحي هذه الثيمة بحزن مستبد يغطي معالم القصيدة منذ البدء، فهي أريكة من حزن ، ومن ث م تبدأ القصيدة بانفعالات وانثيالات فعل الأمر ، (أدن) الذي يشي بحزن شديد ، واشتياق .

أنها قصيدة فيها المفردات مركبة تركيباً شعرياً ، ننظر الى قوله (ليبتهج ثوبك بذكرى ثوبي) أنها لحظة اللقاء لقاء الزوجين ، هذا المقطع يوحي لنا بفراق مرّ ، وبحسرة وألم ، ثم يقول مستخدما عناصر الحياة في إيصال المراد بقوله (لأقول لك ما لم يقله الماء للماء / ما تتردد الريح في قوله / وتجهله المرايا / وما ليس في خلد النار) . إنها مفردات متشابكة تحاول إيصال فكرة الألم ، فلو انه دنا ، ليحصل كل ذلك ، انه طلب للبعيد أن يقترب .

وننظر الى مفردات الطبيعة وتوظيفها في النص والمفردات هي (الماء ، الريح ، المرايا ، النار) فهي مفردات أسهمت في استنطاق المكبوت في نفس المرأة وقد وظفت توظيفاً شعرياً انزياحياً

كبيراً، ووفق الشاعر في اختيارها وتوظيفها في نصه الشعري ، ويستمر النص في رسم معالم هذه الكائنة وكيف أنها تتألم حزنا على فراق من تحب ، يقول في ذلك :

لأقول لك ان النوافذ التي تركتها
نوافذ من خشب ودمع ،
ان الشوارع من قار وغياب
ان الحدائق ارائك من شجن
ان فماً خلف أذني
يصرخ بك ان تعال

والقارئ لهذا النص سيكتشف انه قد عالج إحساسات مرهفة تملكها المرأة ، انه نص يستنطق المسكوت عنه في نفسية المرأة ، ويتكلم عن لسانها المقطوع .

تدلنا مفردة (النوافذ) على الانتظار ، إنها نوافذ تطلُ بالإنسان على عالم مفتوح ، فأصبحت مهجورة ممن تحب ، فهي نوافذ أصبحت الآن من خشب ودمع ، والشوارع لا توصل لشيء إنها من قار وغياب وكذلك مفردة (الحدائق) لم تعد محطة سعادة ، بل هي محطة أشجان وألم . (أن الحدائق ارائك من شجن) .

والملاحظ تكرار أداة التوكيد (إنَّ) فهي تؤكد الألم مراراً وتكراراً ، أنها أداة أخذت من النص مأخذاً هو مأخذ توكيد الألم ننظر الى النصوص كيف أن أداة التوكيد تفتتح أكثر اسطر النص (ان النوافذ التي تركتها / ان الشوارع / ان الحدائق ، ان فماً خلف أذني) .

وقد وظفت المعاني في النص توظيفاً شعرياً انزاحت فيه المفردات عن دلالاتها الحقيقية فلا النوافذ بوابات للرؤية ، ولا الشوارع محطات وصول ، ولا الحدائق محطات سعادة وأفراح ، انه نص يتكلم عن معاناة مخلوقة انقلبت حياتها رأسا على عقب ، يتكلم فيها الشاعر على لسان حالها وعن حزنها الجياش في نفسها . ولو أخذنا الشطرين الأخيرين لوجدنا أنهما صورة بحد ذاتها ، إذ يقول :

(ان فماً خلف أذني / يصرخ بك أن تعال)

ننظر الى الدلالة التي أعطتها المفردات (فماً خلف أذني / يصرخ بي) فهي صورة ترسم أعمق الألم وأقساه ، إنها صورة خيالية جسدتها المفردات التي أعطت دلالة الصراخ فهي لا تصرخ طالبة مجيئه فقط ، بل إن فماً خلف إذنها يصرخ به أن تعال ، وهي تسمع ذلك الصراخ / الألم . ومن ثم فان المعنى موزع بين ألمها وصراخها عليه باكية من شدة ذلك الألم ، فهي تصرخ ويذوب

هذا الحزن في أعماقها مكوناً حزنها الكبير . انه وصف دقيق لحالة نفسية مأزومة ومتوترة ، تعانيها المرأة، كونها إنسانة مرهفة الإحساس ، انه نص يشكل لوحة متكاملة عن المعاناة .

وتستمر القصيدة في رسم المعالم الروحية لتلك الكائنة في قوله :-

نخلتك التي تهزها إذا جعت

وتحرق صبرها في الشتاء

رفيقتك في النهار

وخليلتك في الليل

وسادتك التي تغفو عليها

وجرحك القديم

وردت في هذا النص مفردات عالجت موضوعة تضحية المرأة فهي النخلة التي تطعم الجائع ، ويحرق صبرها في الشتاء.

واستطاع الشاعر أن يعطي للمرأة المساحة الكافية في نصه لتعبر من خلاله عن تضحيتها ، وترسم الصور التي جاهدت من اجلها ، فجاءت المفردات عن لسانها (نخلتك ، تحرق صبرها ، رفيقتك ، خليلتك ، وسادتك) لتعبر عن هذا المعنى معنى وجودها المرتبط بكيان الرجل ووجوده ، فهي في هذا النص تحاول أن تذكر الرجل وتعاتبه ، انه نص يعالج البعد الإنساني لهذه الكائنة المقموعة. فهي رفيقة في النهار ، وأكثر قرباً في الليل فهي الخليلة ليلا ، وهي الوسادة ، وبلسم للجرح القديم.

فالشاعر أعطى المجال للمرأة أن تعبر عن جراحاتها العميقة ، وجعلها تعبر و تنطق وتتكلم عن معاناتها وألمها ، ففي النص الشعري استنطق الشاعر مكبوتاتها ، وأنصف لسانها المقطوع ، وفكرها المقموع ، جعلها تروي حكايتها بعيداً عن حكايات هيمنة الفحول من رجالات فلسفة ومنطق وسياسة وأدب ، بعيدا عن كل هؤلاء جعلها تنطق لتقول :-

تفيأت لك وأنا خضراء

وتفيأت لك يابسة

ننظر توازي الشطرين مع إسقاط لفظة (أنا) من الشطر الثاني فقد نسب الحياة / الخضار في الشطر الأول للمرأة مع التأكيد على الضمير (أنا) في حين اسقط الضمير من الشطر الثاني ، ليرفع من شأنها . فجاءت مفردة (تفيأتُ) لتدلنا على عمق تضحية هذه المخلوقة الإنسانة العاطفية ،

فهي أفنت عمرها من اجل (الزوج ، والأب ، والأم ، والأخ ، والابن) . إنه نص يزخر بالمعاني الإنسانية التي عالجت موضوعة المرأة بوصفها إنسانة تعاني إقصاء وتهميشا.

ويقول في نص آخر تحت عنوان (أمي فاطمة وكتفي بيضاء)[١٧]

لوحت لي ولوحت لك

يئست من فراقي ويئست من فراقك

أدنيتني من هجيرك

وأبعدتك عن هجيري...

كان ثوبي ابيض

وكانت أصابعك حمراء وباردة

كنت غابة

وكنت موحشا وشقيا...

يبدأ النص بدلالة الفراق (التلويح) واليأس (يئست من فراقي / ويئست من فراقك). فهو نص يشير الى الفراق والحزن . وينحو النص منحى وصف معاناة المرأة تجاه ذلك الفراق (أدنيتني من هجيرك / وأبعدتك عن هجيري).

ننظر الى التقابل الحاصل بين المفردتين (أدنيتني / أبعدتك) فهو أدناها من هجيره ، في حين أبعدته هي عن هجيرها وكذلك نلحظ التقابل بين دلالة اللونين (الأبيض / الأحمر). في الشطرين :-

كان ثوبي ابيض

وكانت أصابعك حمراء وباردة

فهي توحي بنقاء سريرتها وطهرها وهذا ما أعطاه اللون في دلالته بالنص . أما هو فكانت أصابعه حمراء ، وباردة ففي ذلك إشارة لاتهام تحمله إياه ، فهي أعطته في لقائها كل ما تملك من عفة وطهر. (**كنت غابة/ كنت موحشا وشقيا**) . فتتقابل مفردة (الغابة / العطاء) مع مفردة (الوحشة والشقاء / عدم العطاء). فهي غابة تعطي عطاء دائما بلا انقطاع ، أما هو فموحش وشقي بلا عطاء وهي اشطر توحي بلهجة العتاب ، فالمرأة في هذا النص تؤشر مواطن قوتها ، وتضحيتها تجاه الرجل.

وتقول أيضا :-

وطأت سريري لك

دست على مهجة أسراري

فهي وطأت نفسها ، وهو داس على مهجة أسرارها فتتقابل المفردتين (وطأت / دست) . فهي تفضح حماقات هجر الرجل ، فما تفتأ تذكره بمعاناتها التي تحملتها معه.

ننظر النص :-

ما تكلمت في بيت فيه سراج

مكتوب على نحري احبك...

...

فرقت شعري على ليلك كي لا يبقى

ليلك اسودا

ورسمت سهوبا على كتفيك

تشير الى أمانتها ، فيوم كان السراج مضاء أخرست هي عن النطق خشية أن تلفت الأنظار ، (مكتوب على نحري احبك) تؤشر في ذلك الى حبها . كما توضح الأشطر الأخيرة مدى تضحيتها ، وحبها فهي فرقت شعرها لتقلل من حلكة الليل وظلامه . إنها مفردات مجاز ية تريد من خلالها المفردات أن توضح معنى التضحية والحب والألم الذي تعانيه المرأة من اجل الرجل.

إنه نص تكتمل فيه المعاني الإنسانية ومعاني التضحية والألم ، انه صورة متكاملة عن لوحة معاناة المرأة وحقيقة وجودها وتضحيتها.

وسنحلل نصا آخر ، تتضح فيه معاناة المرأة وحقيقة وجودها وتضحيتها ، يقول في ذلك :

معنيّ أنا

****

أكثر منك أيها الجندي

بزوجتك التي تركتها في السرير

بشعرها الذي سقط عليه الثلج مبكرا

بخطواتها آخر الليل

وقد تأخرت كثيرا

معنيٌ أنا

ببكائها المر على الأريكة[١٨]

يعالج هذا النص موضوعة المرأة أيضا ، معالج ة إنسانية يتكلم فيها الشاعر عن معاناة هذه المخلوقة ، وكونها زوجة تعاني من فراق زوجها الذي اختطفته الحرب ، يرسم لنا صورة تلك المعاناة بقوله **(بزوجتك التي تركتها في السرير / بشعرها الذي سقط الثلج عليه مبكرا)** .

إنه نص إنساني يعتني فيه الشاعر بالآم غيره ومعانا ته . (سقط عليه الثلج مبكرا) بمعنى شاب رأسها مبكرا نتيجة للألم الذي لحقها ، وسحق ذكرياتها وأحالها الى حطام ، أنها امرأة مجروحة الفؤاد، وتعيش لحظات ملؤها القلق والتوجس والألم ، يظهر هذا القلق من الأشطر (بخطواتها آخر الليل / وقد تأخرت كثيرا / معنيٌ أنا / ببكاءها المر على الأريكة).

أنها اشطر توحي مدلولاتها بعمق معاناة هذه المخلوقة المسلوبة الفؤاد ، والحزينة .

وأخيراُ نقول أن النصوص الشعرية لطالب عبد العزيز استطاعت باعتقادنا أن تجسد معاناة إنسانية تمثلتهما المرأة بوصفها إنسانة مهمشة ، وهي إنسانة فوق التهميش ، فهي نصوص يتجلى من خلالها الحس الإنساني والمسار البشري .

المبحث الثاني : فضح المدلول المأساوي للحرب

من المفاهيم الخطيرة التي تسهم في تحطيم الجهاز المفاهيمي والإنساني لدى الفرد البشري مفهوم الحرب . فالحرب دراما تراجيديا ، كونها تجسد المفهوم اللاانساني ، وتس اهم في خلق التوتر والانقطاع الإنساني بين المجتمعات . لذا توقف عندها الفن محاولا الحد من أبعادها اللاإنسانية ، فالفن الإنساني توقف عندها وسيس مفهومها ، في حين سيد مفهوم الحب ، كونهما اعني (الحرب والحب) لصيقا العلاقة بين الإنسان والإنسان ، فالحرب موضوعة تقاب ل الحب[١٩] ، مع اختلاف النتائج المتحققة . فالفرق واضح بينهما ، بين تحقيق الحياة في الحب ، وبين تحقيق الانحلال والاندثار البشري في الحرب ومن ثم فان العوامل التي تسهم في خلق أجواء الحرب ، إنما هي عوامل سلبية تساعد السلطة في خلقها أحيانا ، فتلعب لعبتها في رسم معالم ذلك الانحلال ، في حين يبقى الإنسان الأكثر تأثرا في ذلك كله ، كونه حاملا آثار ذلك التكثيف الدرامي واللانساني الذي تلعبه السلطة بمفهومها المتشعب[٢٠] .

أما الفن الإنساني فيظل مدافعا عن أحقية الكائن البشري في حياة بعيدة عن مأساة الحروب ، ويقوم بدوره بتو صيف عبثية الحروب ، ويصور جنونها ، وانسحاق الإنسان تحت آلتها التي لا ترحم[٢١] ، وحاول الفن عموما " ولاسيما الأدب الإنساني أن يجد بدائل للصيرورات اللاانساني ة التي تجسدها بعض مفاهيم البطولة التي انسجمت مع وعي بعض المجتمعات وطبيعتها في مراحل تطورها التاريخي البشري[٢٢] .

فالأدب الإنساني يهمه الإنسان بالدرجة الأساس ، ويهمه الحد من مأساته في معركة الوجود ، أو سقوطه المأساوي في لحظة من لحظات الزمن ، وموته في جغرافيا من جغرافيا الأرض موتا دراماتياً مأساوياً ، وهذا ما يجسده الأدب الإنساني الذي يشتغل على الترميز وإقناع المتلقي ببشاعة الحرب(٢٣).

ولعلنا لا نجانب الصواب حين نعتقد بالرأي القائل انه لا يوجد في الحرب منتصر ، فمن يتغنى بانتصاره في الحرب ، إنما يوهم نفسه ، ويوهم متلقيه بذلك ، ومن ثم أن التغني الذي نجده في قصائد الحرب لدى العرب لا نجد له مسوغا " أو دافعا" ، فقد استنفد قصائدهم وأصبح مدار حديثهم دون أي جدوى(٢٤) .

فمفهوم الحرب هو مفهوم لا عقلائي ولا منطقي لذا قام الأدب الإنساني بتصوير هذا المفهوم تصويرا منفرا وباعثا على كراهيتها كونها بؤرة الموت ، فدفع الأفراد الى رفضها بوصفها مدلولاً لاإنسانياً(٢٥) .

ومن الغريب أن نج د كاتباً كبيراً كالدكتور شوقي ضيف يؤاخذ أصحاب النزعة الإنسانية النزعة المضادة للحرب ، يؤاخذهم على دعواهم للحد من انتشار المنطق اللا عقلائي للحرب ، ويصفهم بالمثالية ، وإنهم يعيشون في عالم حالم ، بعيد لا يتحقق على الأرض (٢٦) . وأي مسوغ يقدمه الدكتور شوقي ضيف في دعوته هذه لا نجد له إذن صاغية ؛ لان دعوة أصحاب النزعة الإنسانية هي دعوة للسلام ، وحلم بتحقق العدالة والوئام الإنساني ، على هذه الأرض ، فلعل البشرية تصغي لذلك يوما ما ، وترفض الحروب ومأساتها ، وهي دعوة إنسانية تمجد الحياة ، وترفض الموت ، وهذه دعوة يجب الدفاع عنها لا الحط من شأنها كما فعل الدكتور شوقي ضيف.

وهذا ما سنقف عنده في نصوص الشاعر طالب عبدالعزيز الذي نجد عنده المدلول الإنساني واضحاً في شعره وهذا ما نرمي إليه . ففي قصائد الشاعر طالب عبدالعزيز تتضح الحرب بوصفها" من المعالم الخطرة التي أسهمت في زع زعة الكيان الفردي والإنساني ، وأول ما نقف عنده هي قصيدة (ذرائع)(٢٧) التي يقول فيها الشاعر:

بالطفولة تذرعنا

حين مضت بين دفاترنا

عصا المعلمين

وتذرعنا بعصر مذهل خلف السياج

.....

وأخفينا حلم في الثياب

وآخر على بعضنا

الى أن يقول واصفا الحرب بقوله :

ولما صرنا نكبر

وأصبح لكل منا قامته الخاصة

وحبيبته الخاصة

وحلمه الخاص

جاءت الحرب وقد أهملت

كل الذرائع

ففي هذا النص تتضح الأحلام ، والطفولة بوصفهما من معالم الحياة الأولى ، إنه يرسم لنا ذرائع الإنسان وأمنياته ، يحاول من خلالهما الشاعر أن يوصف لنا بشاعة مكون ال حرب ، كونها تحط من قيمة الفرد ، وتنهك آماله وأحلامه ، ففي النص الثاني تتبين لنا مفردة الحرب بأقسى أوصافها ، وأبشع دلالاتها ، فحين يكبر الفرد ، وتكبر معه أحلامه ، ويتفرد ويشعر بأهميته تجيء الحرب ، وتهمل كل تلك الأحلام وا لآمال (جاءت الحرب وقد أهملت / كل الذرائع) . فالحرب إذن أقسى شيء يواجهه الإنسان ، فلا ذرائع ولا وجود يسلم معها ، أنها مأساة تمر على البشرية لتمزق وحدة الإنسان، وتحيله الى وجود هرم ، تدمر كل شيء ، أنها نزعة تمارس بها اشد الأشياء وابشعها .

وهذا ما يتضح لنا في قصيدة (العشاء الأخير)[٢٨] . التي يقول فيها :

الوراقون يحررون أقوالنا بأقوالهم

ومن الشباك ذي الأعمدة الثلاثة

كانوا يطلون على أعناقنا ..

نحن الذين لا مصابيح في نفوسنا ..

قالوا لنا : اخرجوا ، ولا وقت لدينا للعشاء

هندمونا كما ينبغي

فخرجنا يوحدنا الظلام ،

وعلى أسرتنا التي من الصفيح

صف طويل منكسر في نصفه من الأحلام العريقة

هذا المقطع الشعري أشبه بلوحة متكاملة بدءا من عنوانه الى آخر كلمة ، إنها لوحة يرسمها الشاعر بريشته ، تناص فيها الشاعر مع عنوان لوحة عالمية معروفة وهي (العشاء الأخير) للرسام العالمي (دافنيشي) ، تناص الشاعر مع عنوانها مسقطا عنوانها مع دلالاتها على نصه الشعري .

يبدأ النص برسم معالم الصورة الشعرية ، التي تتضح منذ البدء معالمها ، فالشاعر حاول أن يشرك القارئ معه في رسم هذه المعالم ، وتكلم هو بوصفه ذاتا " معايشة للحدث ، حتى يشعر القارئ بمصداقية الحدث ، وليزيد من تفاعل المتلقي معه نلحظ ذلك من المفردات (أقوالنا ، أعناقنا ، نفوسنا ، قالوا لنا ، ولا وقت لدينا ، هندمونا ، فخرجنا ، على أسرتنا) . إنها مفردات توضح للقارئ الاشتراك الجمعي والتعايش الروحي للأفراد وهذه من تقنيات الرواية واللوحة يشترك فيها مجموعة أفراد ، على مائدة الحرب ولا ضياء في نفوسهم أنها نفوس أحرقتها نيران الحرب التي باعدت الحرب بينهم وبين أحلامهم .

ويقول في المقطع الثاني :

لن يبقى احد في القاعة
ولذا لن نوصي أحدا ..
نقودنا مع الوسائد ، مع السائل والقبل
والشرشف يصبح ابيض
لكنه في الليل اصفر من الحمى
لم نبصر الصور التي علقناها على الحائط
...
وكموشي الأتراك كنا ننحشر
في العربات المكشوفة .

ففي هذا المقطع يحاول الشاعر أن يتدرج بقارئه كما في المقطع الأول ، يتدرج به ليعيش التفاصيل اليومية التي يعيشها الإنسان قبل دخوله الحرب انه يصف لنا يوميات الإنسان في معسكر الحرب ، وكيف أن الإنسان يساق مع أمانيه ليدخل الحرب ، وهو مرغم عليها (الشرشف يصبح ابيض / لكنه في الليل اصفر من الحمى) . إنها أبيات توضح دلالات المرض والقلق المتشبع في نفس الإنسان الذي تبعثرت آماله ، وأصبح بمواجهة الموت . ويفقد الإنسان إنسانيته فينحشر في عربات مكشوفة (وكموشي الأتراك كنا ننحشر / في العربات المكشوفة) .

يصور لنا الشاعر أدق التفاصيل التي يعاينها الإنسان في الحرب ليكشف لنا من خلالها الشاعر عن لاإنسانية الحرب بوصفها نزعة لا تقف عند حدود بشرية الإنسان فالإنسان فيها يعاني من سحق دائم لإنسانيته . ويقول في المقطع الذي بعده :

كنا قد أخذنا كل شيء إلا طفولتنا
فقد ظلت معلقة في مسمار الحائط
كنا نحصي أيامنا فيطول الطريق
تستدين أياما من بعضنا ،
نرتق بها أعمارنا ،
فتصل بنا مرة الى الليل ،
ومرة الى الفجر
وقلما تصل بنا الى البيت .

تبدو ملامح الحزن واضحة أكثر في هذا المقطع ، فقد بنى الشاعر نصه الشعري ، بناءً هرمياً فهو يتصاعد في رسم الملامح صعوداً يعيشه القارئ ويحسه في متن نصه الشعري .

وتوقف الشاعر عند الطفولة بوصفها ملمحا من ملامح الحياة الجميلة التي غالبا ما يفتقدها الإنسان في موا طن حزنه وألمه ، وقوله (إلا طفولتنا : فقد ظلت معلقة في مسمار الحائط) ، إنه يرمز فيها الى الصور المعلقة على الحائط كونها صورا تعيدهم الى ماضي الذكريات وتشدهم الى ماضيهم الغائب .

أما الأيام فهي شحيحة في الحرب يستدينها المرء من أخيه الآخر ، ليعيش هو ويموت الدائن ، إنها أيام متصرمة توصل الإنسان الى مدة محدودة ، وقلما تعيده الى بيته ، فالأعمار في الحرب مشروخة ، وهي بحاجة الى أعمار الآخرين كي ترتق بعضها بعضا (نستدين أياما من بعضنا / نرتق بها أعمارنا / فتصل بنا مرة الى الليل / ومرة الى الفجر / وقلما تصل بنا الى البيت) . إنه وصف دقيق لمفهوم الحرب المفهوم اللا إنساني / الذي فيه تصل النفس الى أعلى درجات التأزم النفسي ، والضياع الروحي ، فهي مقاطع مجازية تعبر عن المدلولات المأساوية للحرب .

ويقول في المقطع الآخر :

كان خزان الماء يدمدم في آخر الرتل
وفي الحفر العميقة يفرقع عاليا ..
كنا فزعين ...

فزعين كالضوء ..

يالأشيائنا الراكدة

احدهم يحلق ذقنه بينما حقيبته تحترق

وفي الليالي القبيحة

كان يمضي وحيدا بين القتلى

يسرق مسدسا

يزرعه في الرمل

ويحصده قبل المطر

هكذا يمضي الوقت

والقذائف تترك سطرا

وتفكر في حل أجسادنا

كنا نشتم بعضنا وأصابعنا على الزناد

أحيانا ينحو بنا الشاعر نحو تضمين مشاهد من مقاطع أشبه ما تكون بمقاطع رواية تروى ، فهو يقف عند أدق الأشياء وابسطها محاولا تقريب الممكن لدى القارئ فالقصيدة تروي لنا أحداثا صغيرة لتوضح لنا مأساة الحرب ، وبشاعتها .

نلاحظ الصور في متن النص الشعري ، هي صور تحكي عن إحداث يقول :

كان خزان الماء يدمدم في آخر الرتل

وفي الحفر العميقة يفرقع عاليا ..

كنا فزعين

فزعين كالضوء ..

إنها صورة تحكي عن ملامح الحزن ، والمأساة التي يعيشها الإنسان في الحرب ، كما نلحظ المفردات (يدمدم ، يفرقع ، فزعين ، فزعين كالضوء) . فهي مفردات تنم عن توتر نفسي يعيشه الإنسان في الحرب ، ويستمر الشاعر في وصف محكم لدقائق الأمور ليوصل القارئ الى نهاية يرسمها ، كمتلق مشارك في الأحداث يعيش أزمتها ، ويحاول التخلص من بؤسها ، ليقول في ذلك :

يالأشيائنا الراكدة

احدهم يحلق ذقنه بينما حقيبته تحترق

وفي الليالي القبيحة

كان يمضي وحيدا بين القتلى

يسرق مسدسا

يزرعه في الرمل

ويحصده قبل المطر

هكذا يمضي الوقت

والقذائف تترك سطرا

وتفكر في حل أجسادنا

كنا نشتم بعضنا وأصابعنا على الزناد

الزمن الذي يحاول الشاعر توصيفه لنا هو الزمن السلبي المأزوم ، المتوتر في الحرب ، أما الركود والموت فهما اللذان يعمان الأشياء كلها حتى الطبيعة لا تسلم من مهاترات الحروب ، ويصفه بأنه زمن موبوء وسلبي ، ما يفتأ يحل الأجساد وتتساقط فيه الناس ، وتنتزع منهم إنسانيتهم بلا رحمة ؛ كونها لحظات دمار وبؤس وفيها تشو ه للمفاهيم والقيم ؛ لان الإنسان يتخلى فيها عن إنسانيته إما طوعاً أو رغماً ، وكلاهما خسارة ، ننظر التوتر الذي يحاول الشاعر رسمه لنا (كان يمضي وحيدا بين القتلى / يسرق مسدساً / يزرعه في الرمل / ويحصده قبل المطر / القذائف تترك سطرا / وتفكر في حل أجسادنا / كنا نشتم بعضنا وأصابعنا على الزناد) أنها اسطر توضح لنا معنى الانفلات الروحي ، والبؤس الإنساني ، وننظر الى الزمن المتوتر ، من خلال الصور الشعرية المكثفة (يسرق مسدسا / يزرعه في الرمل / يحصده قبل المطر) إنها صورة متكاملة عن بؤس حقيقي ، فقد تحولت الزراعة لزراعة الموت (السلاح) الذي حصد قبل أن يأتي المطر . أما القذائف فأخذت مأخذاً من تلك الأجساد، وأحالتها الى بقايا .

ويرسم لنا الشطر الأخير من المقطع صورة أخرى عن مأساة تلك الحرب (كنا نشتم بعضنا وأصابعنا على الزناد) . ويقول أيضا :

تموت النجوم

وتتذأب الحجارة

وخطانا على ذات الطريق

الأرصفة القديمة في أقدامنا

وعلى ظهورنا حيطان الصبا

وفي علب التبغ ينحشر الأهل والأصدقاء

ملفوفين في أفواهنا

وفي اكفنا تتقاتل آمالهم

في هذا المقطع يستمر شاعرنا في توظيف المعاني التي تستفز القارئ ايجابياً ، وتدفعه الى رفض مفهوم الحرب ، وكره دلالته المتحصلة ؛ كونه مفهوما يوصل الإنسان الى نهايات مفتوحة لدماره الإنساني .

إن الأماني والأحلام تموت في خضم إحداث الحرب (تموت النجوم) ، وكل شيء يتحرك باتجاه سلبي ولا مفهوم ، حتى الساكن يتحول الى كائن متحرك ومفترس (تتذأب الحجارة) . إنها تحولات خطرة باتجاه سلبي .

ثم ينتقل الشاعر بالقارئ ليعيش معه أحداث وذكريات الإنسان قبل الحرب (الأرصفة القديمة في أقدامنا / وعلى ظهورنا حيطان الصبا / وفي علب التبغ ينحشر الأهل والأصدقاء / ملفوفين في أفواهنا / وفي اكفنا تتقاتل آمالهم) . فالإنسان في لحظات التأزم يعيش لحظات ا لذكرى الخالدة (الصبا) فنحن إزاء مقاطع شعرية توجز لنا حياة الأفراد ، وكيف تمر على ذهن الفرد البشري في تلك اللحظات ذكريات الأهل والأصدقاء ، ويحمل الفرد ذكريات صباه متوجعاً ، يحملها بثقل ؛ لأنها لا تعود.

ويقول في مقطع آخر من القصيدة نفسها :

قبل الأمهات في جيوبنا

ودموعهن تقطر في أكمامنا

نحن الذين ذهبنا بعيدا

متعبين نرش العطر على حقائبنا

التي ملئت بالفوانيس

نمسد أحزاننا قبل أن ننام

لم يترك الشاعر حسا " إنسانياً إلا ووقف عنده في قصيدته هذه ، فهو يرسم التشظيات الحاصلة في المعالم الإنسانية ، وتوقف في هذا المقط ع عند اشتياق الفرد الإنساني الى الدفء والحنان الدائم المتمثل بـ (الأم) يقول (قبل الأمهات في جيوبنا / ودموعهن تقطر في أكمامنا) مزج الشاعر بين محبة الأمهات (قبل الأمهات) وبين حزنهن (ودموعهن تقطر) ، وكيف أن الحرب رسمت الحزن والألم على معالم الإنسان ، نلحظ ذلك من المقاطع (قبل الأمهات / دموعهن

تقطر / ذهبنا بعيدا / متعبين / نمسد أحزاننا) . كلها مقاطع تنم عن حزن دفين ، الم يعتصر الإنسان بوصفه كائناً يعيش المأساة ويحسها . ويقول عن الزمن بوصفه زمناً تتحرك فيه الأحداث عبر التوتر البشري يقول :

الساعات تشيخ فوق سواعدنا
ولا يمضي الوقت
كلما ابتعدنا تتوحش أقدامنا
وفي كل منعطف شجرة موت
وشيئاً فشيئاً ..
كانت جيوبنا تخلو من القبل
وتشح في أفئدتنا الأسماء
وكل الحيطان العملاقة
كان أصدقاؤنا يسقطون
لكن لا غبار لهم ...
وفي عيوننا التي لا لون لحشائشها
أفق ميت من رماد ودم
وكف تومئ تحت الأصيل

انه يرسم معالم الزمن الذي لا يمضي (الساعات تشيخ فوق سواعدنا / ولا يمضي الوقت) انه زمن يعاني فيه الفرد من توتر حتمي ؛ كونه لا يمضي فهو ثقيل لأنَّ أحداثه مأساوية ، وذلك مرتبط بشعور الفرد تجاه الزمن فكلما كانت الأحداث مأساوية ي شعر الفرد من خلالها بزمن ثقيل والعكس بالعكس ، وزمن الحرب هو زمن الثقل الإنساني الذي يحسه الفرد ، وتعيشه الجماعة .

ثم نجد المقاطع التي تشي بمعالم الموت والبؤس الإنساني (كلما ابتعدنا تتوحش أقدامنا / وفي كل منعطف شجرة موت / وشيئا فشيئاً / كانت جيوبنا تخلو من القبل / وتشح في أفئدتنا الأسماء) . إنها معالم الحزن ، والقلق البشري ، إنها أزمات الحرب ، ولا إنسانيتها ، التي أحالت الموجودات الجميلة الى دمار وموت ، وتقطعت فيها أواصر التعاون البشري ، وفيها تتحول المعالم الإنسان الى معالم تعاني الألم فالعيون لا لون لها ، ولا بريق بها ، سوى الأفق الميت والدماء (وفي عيوننا التي لا لون لحشائشها / أفق ميت من رماد ودم / وكفء تومئ تحت الأصيل) .

إنها قصيدة رسمت معالم لوحة متكاملة ، وحكت الأحداث اللا إنسانية للحرب ، صوَّر فيها الشاعر أدق الأشياء وأعمقها في لحظات التأزم الإنساني (الحرب) . ويقول في نص آخر :

قم أخي لقد انتهت الحرب
واخذوا دبابتك الى مصهر الحديد
لكن بندقيتك ما زالت على الجبل
وها قد آتت الرمال على بسالتك أخيراً[٢٩]

في هذه المقطوعة يفضح الشاعر الحرب ، من خلال تأشير مواطن ضعفها فهي لعبة يلعبها الصغار ، ويعريها ع ن المصداقية ، فهي مفهوم مغلوط ولا عقلائي ، إنها شفرة يوظفها الشاعر ليوصل لنا مفهوم الحرب ، ويسخر منها بوصفها مفهوما" تحاول البشرية في بعض مواضعها اعتناقه .

ويفضح فيها السلطة ، بغض النظر عن نوعها ، فهي المحرك الأول ، والدافع الرئيس في ذلك كله ، وفيها يبدأ الشاعر بفعل أمر يدل على الألم (قم أخي لقد انتهت الحرب / واخذوا دبابتك الى مصهر الحديد) . فالحرب مأساة تولد الألم وتمحو الذكريات الجميلة تؤسس لممالك الحزن ، في بعد الحياة ، وتحطم المفهوم الإنساني في المجتمعات ، فما يحصده الإنسان في الحرب هو الموت (وها قد أتت الرمال على بسالتك أخيراً) . ويليه مقطع آخر تتضح فيه المدلولات اللا إنسانية التي تجسدها الحرب يقول :

في كل مرة
قبل سقوطك الأخير
يسلب الأعداء بدلتك
وحرابك وبهاءك
ومهما كنت ميتاً يا أخي
كانوا يفتشون جثتك بالرصاص
وحتى في ميتتك الأخيرة
حين كان الدود يسقط من محجريك

في هذا المقطع تتضح لنا المواطن الوجدانية التي يقدمها الشاعر لأخيه ، غير أن مدلولات النص تنزاح بالمتلقي الى أبعاد أخرى ومن هذه الأبعاد البعد اللا إنساني الذي تتضح معالمه في النص، وتتجسد مدلولاته فيه ، ويؤشر لنا النص عن وجود تحولات في بشري ة الإنسان (يسلب

الأعداء بدلتك / وحرابك وبهاءك) . ثم تتبين معالم هستيريا الإنسان ، وانقلابه القيمي ، حين يتحول بإنسانيته الى المدلول اللاإنساني يوضح ذلك قوله (ومهما كنت ميتاً يا أخي / كانوا يفتتون جثتك بالرصاص) . وهذا من جراء الحرب التي تستنطق المعالم الميتة ، وتستفزها ، وتحول القيم الى مفاهيم لا قيمة لها.

المعالم اللاانسانية والمدلولات اللا بشرية التي تجسدها الحرب . ومن ثم فإنَّ النص يوحي بالتخلخل العام الذي تحدثه الحرب بينت ذلك صور النص المرسومة عن الحرب .

وأخيراً إنَّ النصوص التي توقفنا عندها تثير ف ينا رغبة في رفض المدلول الكلي للحرب ، وتؤشر مواطن الخلل الإنساني فيها ، بوصفها نزعة تحاكي البعد اللامنطقي في حياة الشعوب ، وهي خارج إطار المفهوم العقلائي ، وتجنح باتجاه السير اللا بشر ي ، وتستنطق البؤس والموت . هذا ما قامت النصوص الشعرية بإيصاله إلينا من خلا ل شفراتها الدلالية ومكنونها ألترميزي لإيصال الحس الإنساني الذي ينافي مفهوم الحرب .

الخاتمـــة

في ختام البحث نستطيع القول بأنَّ ثمة مدلولات متعددة تتحكم في بناء هيكلة المجتمع ووعيه، وفي بحثنا هذا توقفنا عند محورين هما (المرأة خارج التهميش) وأثبتنا في متن البحث أن المرأة لها كيانها الخاص والمستقل ، وهي إنسانة خارج التهميش ، فهي تمثل الأم والزوجة وأثبتنا ذلك من خلال نصوص شعرية بينت لنا هذا المنطوق ، كما استطاع الشاعر أن يوصل لنا رسالةً إنسانية من خلال استنطاقه لمكبوتات المرأة ومكنوناتها ، فجعلها تتكلم عن أمانيها وأسرارها الدفينة والمقموعة . فكانت النصوص تؤشر لنا هذا الموطن جاعلة المرأة بؤرتها الأساسية في ذلك .

أما المحور الثاني فهو (فضح المدلول المأساوي للحرب) وفيه توقفنا عند (الحرب) وبينا من خلال النصوص بأنها تحاكي اللاإنسانية ، وتستنطق العنف والدمار ، وهي بؤرة حامت حولها الدلالات اللاانسانية ، كما سلطنا الضوء من خلال النصوص على الإنسان بوصفه الأكثر تأثراً من المخلوقات في الحرب .

فكشفت لنا النصوص الأبعاد والمدلولات اللاانسانية للحرب . وكانت النصوص عبارة عن شفرات مرسلة من قبل الشاعر للمتلقي يوصل رسالة تستفز القارئ استفزازاً ايجابياً باتجاه رفض الحرب . وبينا من خلال النصوص كيف يخسر الإنسان إنسانيته في الحرب ، فالحرب معلمٌ من معالم البؤس الإنساني والدمار .

فنص الشاعر طالب عبدالعزيز غنيٌ بهذه المكتنزات الدلالية التي تثري القارئ وتضفي عليه أبعاداً إنسانية ، وكل ذلك اتضح لنا من خلال نصوصه الشعرية .

الهوامـش

١. ينظر : صورة الآخر في التراث العربي ، د . ماجدة حمود ، ط ١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ٢٠١٠ : ٨٧ .

٢. ينظر : هم الحقيقة ، ميشال فوكو ، ط ١ ، ت : مصطفى المسناوي وآخرين ، منشورات دار الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٦ : ١٤ .

٣. ينظر : في الأدب ومذاهبه المعاصرة ، د . علي عبدالخالق علي دومة ، ط ١ ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر ، ١٩٩٠ : ٥٩ .

٤. ينظر : الألسنية ، محاضرات في علم الدلالة ، د. نسيم عون ، ط ١ ، دار الفارابي ، لبنان ، ٢٠٠٥ : ٥٦ .

٥. ينظر : النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبدالله الغذامي ، ط ٤ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٨ : ٧ .

٦. ينظر : الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية ، د . أماني سليمان داود ، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩ : ٣٠٧-٣٢٣ . وصورة الآخر في شعر المتنبي (نقد ثقافي) محمد الخباز ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ٢٠٠٩ : ١٩٣ .

٧. ينظر : تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، د . عبدالله الغذامي ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٩ : ٣٩ . والمنامات في الموروث الحكائي العربي ، دراسة في النص الثقافي والبنية السردية ، د. دعدع الناصر ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨ : ١٢٤ . ودوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد أبو زيد ، ط ٤ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٧ : ٢٩-٣٠ .

٨. ينظر : ثقافة الوهم ، مقاربات حول المرأة والجس د واللغة ، عبدالله محمد الغذامي ، ط ٢ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٦ : ٣٨ .

٩. ينظر : الصوت بوابة الكون ، ساميا ساندري ، ترجمة : ماري بدين أبو سمح ، ط١ ، رياض الريس للكتب والنشر ، ٢٠٠٢ : ٨١ .

١٠. ينظر : في النقد الجمالي ، رؤية في الشعر الجاهلي ، د . احمد محمود خليل ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦ : ٦٣ .

١١. ينظر : الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د . كريم حسن اللامي ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٨ : ٥١ .

١٢. ينظر : انثروبولوجيا الأدب دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان ، أ . د. قصي الحسين ، ط١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٩ : ١٥٧ .

١٣. تمثيلات الآخر صورة السرد في المتخيل العربي ، د . نادر كاظم ، ط ٤ ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤ : ٤١٢ .

١٤. ينظر : ملامح الرمز في الغزل العربي القديم ، د . حسن جبار شمسي ، ط ١ ، دار السياب ، لندن ، ٢٠٠٨ : ٢٨ .

١٥. تاريخ الأسى ، طالب عبدالعزيز ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٦ : ٨٥.

١٦. نفسه : ٥٣-٥٦ .

١٧. نفسه : ٣٥-٣٨ .

١٨. نفسه : ٢٠.

١٩. ينظر : بنية الخطاب النقدي دراسة نقدية ، د. حسين خمري ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ : ١٩ . والمنزلات منزلة الحداثة ، طراد الكبيسي ، ج ١ ، د.ط. دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ : ٣١٣ .

٢٠. ينظر : ميشيل فوكو ، د. محمد الكبيسي ، ط٢ ، دار الفرقد ، دمشق ، ٢٠٠٨ : ٧١ .

٢١. ينظر : التأويل التخيلي للتجربة الإنسانية ، قراءة في رواية (تل اللحم) ل نجم والي ، د. إدريس الخضراوي ، مجلة الأقلام ، ع١ ، كانون الثاني ، ٢٠٠٩ : ١٧٢-١٧٣ .

٢٢. البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د . مؤيد اليوزبكي ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٨ : ١٧ . وشعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الى عه د سيف الدولة ، د.زكي المحاسني، ط٢، دار المعارف ، مصر ، د.ت:١٧

٢٣. ينظر : الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما ، شرف الدين ماجدولين ، ط ١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠١٠ : ٦٣ .

٢٤. ينظر : حضارة العراق ، الشعر والنثر ، د . قطحان رشيد صالح ، ج ٧ ، د.ط ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥ : ٣٥١ .

٢٥. ينظر : تشكيل الخطاب الشعري دراسات في الشعر الجاهلي ، د . موسى ربابعة ، ط ٢ ، دار جرير ، عمان ، ٢٠٠٦ : ١٢٩ .

٢٦. ينظر : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، د . شوقي ضيف ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت : ٥٨ .

٢٧. تاريخ الأسى : ٦٥-٦٦ .

٢٨. نفسه : ٢٨-٣٤ .

٢٩. نفسه : ٨٣-٨٤ .

المصادر والمراجع

١. الألسنية ، محاضرات في علم الدلالة ، د. نسيم عون ، ط١ ، دار الفارابي ، لبنان ، ٢٠٠٥م .

٢. الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية ، د . أماني سليمان داود ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩م .

٣. الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د . كريم حسن اللامي ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٨م .

٤. انثروبولوجية الأدب دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان ، أ .د. قصي الحسين ، ط ١ ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٩م .
٥. البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د . مؤيد اليوزبكي ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٨م .
٦. بنية الخطاب النقدي دراسة نقدية ، د. حسين خمري ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م .
٧. تأنيث القصيدة والقارئ المختلف ، د. عبدالله الغذامي ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٩٩م .
٨. تشكيل الخطاب الشعري دراسات في الشعر الجاهلي ، د . موسى ربابعة ، ط ٢ ، دار جرير ، عمان ، ٢٠٠٦م .
٩. تمثيلات الآخر صورة السرد في المتخيل العربي ، د . نادر كاظم ، ط ٤ ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٤م .
١٠. ثقافة الوهم مقاربات حول المرأة والجسد واللغة ، عبدالله محمد الغذامي ، ط ٢ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٦م .
١١. حضارة العراق ، الشعر والنثر ، د . قطحان رشيد صالح ، ج ٧ ، د.ط. دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥م .
١٢. دراسات في الشعر العربي المعاصر ،د. شوقي ضيف ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت.
١٣. دوائر الخوف ، قراءة في خطاب المرأة ، نصر حامد أبو زيد ، ط ٤ ، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ٢٠٠٧م .
١٤. شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الى عهد سيف الدولة ، د . زكي المحاسني ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.
١٥. الصوت بوابة الكون ، ساميا ساندري ، ت : ماري بدين أبو سمح ، ط ١ ، رياض الريس للكتب والنشر ، ٢٠٠٢م .
١٦. صورة الآخر في التراث العربي ، د. ماجدة حمود ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٦م .
١٧. صورة الآخر في شعر المتنبي (نقد ثقافي) محمد الخباز ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٩م .
١٨. الصورة السردية في الرواية والقصة والسينما ، شرف الدين ماجدولين ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠١٠م .
١٩. في الأدب ومذاهبه المعاصرة ، د . علي عبدالخالق علي دومة ، ط ١ ، دار قطري بن الفجاءة، قطر ، ١٩٩٠م .
٢٠. في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي ، د. احمد محمود خليل ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق، ١٩٩٦م .
٢١. ملامح الرمز في الغزل العربي القديم ، د. حسن جبار شمسي ، ط١ ، دار السياب ، لندن ، ٢٠٠٨م .

٢٢. المنامات في الموروث الحكائي العربي ، دراسة في النص الثقافي والبنية السردية ، د . دعدع الناصر ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات وللنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
٢٣. المنزلات منزلة الحداثة ، طراد الكبيسي ، ج١ ، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢م .
٢٤. ميشيل فوكو ، د. محمد الكبيسي ، ط٢ ، دار الفرقد ، دمشق ، ٢٠٠٨م .
٢٥. النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبدالله الغذامي ، ط٤ ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ٢٠٠٨م .
٢٦. هم الحقيقة ، ميشيل فوكو ، ت : مصطفى المسناوي وآخرين ، ط ١ ، منشورات دار الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٦م .

المجموعات الشعرية :

* تاريخ الأسى ، طالب عبدالعزيز ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٦م .

المجــلات :

* مجلة الأقلام ، ع١ ، كانون الثاني ، ٢٠٠٩م .